الخاتمة

أهم نتائج البحث :

امتازت البلاغة العربية بعدد من الأساليب، فاختلفت بنيتها أو صياغتها تبعاً للوظيفة والهدف.. ولما أكدت هذه الأساليب اتصال البنية بالمعنى (الوظيفة والهدف) كانت تتصهر بالوجدان وعواطف المتكلم والمخاطب على السواء لانتظام صلاح النسق البلاغي، وثراء فضائه الفني والفكري.

ولما ظلت رؤية البلاغيين العرب القدامى مشدودة إلى الوظيفة البلاغية وفق الرؤية الجزئية –إذا استثنينا القليل منهم؛ كعبد القاهر الجرجاني والزمخشري –خرجنا إلى مفهوم الشمول بدراسة أسلوب الخبر والإنشاء ليغدو أسلوباً نقدياً يزود النقاد قديماً وحديثاً بأدوات التشكيل البلاغي وهي أدوات تشكيل نقدية في البلاغة الأسلوبية. ومن ثم صار الأسلوب البلاغي قراءة جمالية مرتبطة بالبنية وسياقها ووظيفتها وهدفها في اتفاقها مع روح اللغة وطبيعتها مفيدين من الدراسات الإعجازية من جهة ومن الدراسات الحديثة بكل أصنافها بلاغية ولسانية، أسلوبية ولغوية؛ أدبية وفنية ونقدية من جهة أخرى. ولعل ذلك كله قد كوَّن ملامح رؤية نقدية متقاربة للقدماء في الظاهرة البلاغية وإن لم تكن موحدة. وعلى الرغم من ذلك لم تأخذنا دهشة التطور الفكري والفني بما قاموا به جميعاً فكنا نحلل الأسلوب الحقيقي والمجازي، ونجري عليه فَحْصاً فنياً ونقدياً وبلاغياً ولغوياً لنكشف عن عناصر الجمال فيه.. فناقشنا كثيراً من النظرات والآراء في إطار تاريخيتها، وفي إطار الموازنة مع العديد من التصورات النفسية والاجتماعية كما هو في عدد من المواضع كالوعد والوعيد والضَّعْف والتحسّر، والفخر والتفاخر من الأغراض المجازية للخبر؛ وكذلك فعلنا في أسلوب الأمر والتمني والنداء من أغراض الإنشاء...

obeikandi.com

واتضح لدينا أن كثيراً من الآراء التي طرحتها المدارس الحديثة ليست إلا رؤى متطورة لأساليب البلاغة العربية كما جاء لدى (رولان بارت) و(رومان جاكبسون) مثلاً.

فقد كشفنا عن بنية جمالية لأسلوب الخبر والإنشاء؛ بوصفه بنية غير محايدة؛ علماً أنها منفتحة على عالم لامتناهٍ، لأنها لم تكن إشارات لغوية اعتباطية.. لهذا كله أكدت أنها بنية جمالية فنية تحمل رسائل إيحائية عديدة.. فما جاء به الجرجاني والزمخشري وغيرهما سبقا به نقاد الغرب، وإن ذهب به هؤلاء بعيداً بما يوافق أدبهم وفلسفتهم.. وكذلك أثبتت دراسة جمالية الخبر والإنشاء وأغراضهما أنّ أساليبهما كلها كانت ممارسة نقدية حُرة مرتبطة بوظائف نفسية وموضوعية وفنية عالية.

فكل أسلوب في بنيته من اللفظ إلى التركيب وفي عملية الاستبدال والتوزيع؛ وفي مفهوم الانزياح عن معيار النحو كان يتهيأ لجمالية خاصة وفريدة عند الجرجاني في مفهوم الجوار والاختيار في النسق التركيبي.

إن دراستنا الجمالية التي استندت إلى التحليل والفَحْص الدقيق لكل أسلوب هيأت لنا إضافة العديد من الأساليب والنظرات لم يعرفها القدماء كما وقع لدينا خاصة في الأساليب المجازية للخبر كالوعد والوعيد والتبكيت والتوبيخ والضَّعف والعجز والحث على السعي والجد، وعدد من أساليب الأمر والنداء والنهي والتمني والاستفهام.

وتبينا في الوقت نفسه أن الخبر ليس بالضَّرورة أن يحتمل الصدق أو الكذب بشكل دائم ولكنه قد يصبح نمطاً فنياً يحتمل الصدق وحده باعتبار قائله أو باعتبار مقام المخاطب والحال والواقع الحقيقي أو الفني وبهذا ارتبط المفهوم الجمالي البلاغي بالمفهوم الجمالي النقدي، ثم بالوظيفة التي يستند إليها كل منهما.

وإذا كان الخطاب الإلهي قد تميز بإعجازه الفريد البديع فإن الدراسات

obeikandi.com

الإعجازية قدَّمت الكثير من الأساليب والأفكار إلى اللغة.. ومن ثم عززت البلاغة الأدبية، وطوَّرت وجهتها الوظيفية؛ وطبيعتها الفنية، وأغنتها بمفاهيم كثيرة ولا سيما ما يتعلق بالمصطلحات.. وكان عبد القاهر الجرجاني والزمخشري فردين متميزين في هذا المجال.. وبذلك كله صارت البلاغة العربية ممثلة لروح اللغة العربية؛ وأداة نقدية فعّالة في استنباطنا لمفاهيم بلاغية جديدة ومن ثم تعزيز قدرة النقد على التحليل.

فلم تعد مجرد وسيلة لتشخيصهما؛ لأنها هي التي دفعتنا إلى استكناه مفهوم (استعمال لفظ مكان لفظ)؛ ثم وجّهنا خروج أسلوب الكلام عن مقتضى الظاهر وفق تصوّر المتكلم توجيهاً جديداً مفيدين في ذلك من بعض النقاد المحدثين، فضلاً عما سُقْناه قبل قليل من قضايا جديدة.

ولعل المرء لا يغفل ما انتهت إليه جمالية الخبر والإنشاء من الاعتماد على النّص القرآني، والحديث الشريف، والشواهد الشعرية القديمة والحديثة فكنا نشفع كل أسلوب بعَددٍ غير قليل منها، مع التمثيل لها بكلام نثري من عندنا إمعاناً منّا في إيضاح الأسلوب وإبراز طبيعته ووظيفته وجماليته.

وإذا كنا عمدنا إلى عدم تخريجها من دواوين أصحابها –لكثرتها– فلا يعني ذلك أننا لم نوثقها، ولم نضبط أكثرها، ولا سيما المُشكِل منها؛ فضلاً عن أنها مستقاة جميعها من مصادر البلاغة ومراجعها فضلاً عن الدواوين والمجموعات الشعرية.

إن قراءتنا الجمالية انطلقت من بنية اللغة ذاتها؛ وهذا فرض علينا أن نشير في مواضع عدة إلى طبيعة الأسلوب اللغوية لنتوصل منه إلى إدراك جماليته البلاغية والفنية. أي كنا ننتقل من طبيعة اللغة وفضاءاتها إلى فضاءات الأساليب ووظائفها و.. بمنهج يكاد يكون مطّرداً؛ على حين قصر القدماء عنايتهم إمّا على اللغة وإما على البلاغة. فأهل اللغة كانوا يقفون عند اللغة لفظاً وتركيباً وأحوالاً من جهة الإعراب والبناء.. وأهل البلاغة كانوا يعمدون

إلى الاتجاه البلاغي في البنية اللغوية ليس غير. ولما جمعنا بين هذا وذاك لم نتغافل عن البلاغة القرآنية، وعن الدراسات الأسلوبية والنقدية الحديثة.

تلك هي أهم نتائج البحث، راجياً من الله أن يكون فيها خير عميم للقارئ، علماً أن البحث قد اشتمل على كثير غيرها.

والحمد لله الذي أسبغ علينا نعمة القول وأتمه.

***

obeikandl.com